

الفصل الرابع

العلم فى التفسير بالماثور للقرآن الكرىم

الصفحة

أولاً : طبعة العلم فى التفسير بالماثور لأيات القرآن الكرىم :

١٤٣ - العلم الدينى .

١٤٦ - العلم المتعلق بالجانب الدينوى فى حياة الإنسان .

ثانياً : مصادر العلم فى التفسير بالماثور لأيات القرآن الكرىم :

١٥٤ - العلم إلهى المصدر :

١٥٨ أ - الله سبحانه علم آدم عليه السلام .

١٦٠ ب - الله سبحانه علم رسله وأنبياءه .

١٦٦ ج - الله سبحانه يعلم بنى آدم .

١٦٩ - الرسل والأنبياء والعلم :

١٦٩ أ - الرسل والأنبياء يطلبون العلم .

١٧١ ب - الرسل والأنبياء يعلمون بنى آدم .

١٧٥ - بنو آدم وطلب العلم :

ثالثاً : أدوات الإنسان للوصول إلى العلم فى التفسير بالماثور للقرآن الكرىم .

١٨٠ - العقل .

١٨٣ - السمع .

١٨٤ - الرؤية .

تجلى تكريم الله للإنسان فى معجزة خلقه بكل تفصيلاتها، ثم كان العلم المكرمة الثانية التى أنعم الله بها على الإنسان، إذ وهبه قدراً من علمه الواسع فكان النعمة العظمى التى توج الله بها هذا المخلوق، وفضله على غيره من المخلوقات، بما فى ذلك الملائكة المقربون إليه، فقد قال تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" (البقرة: ٣١، ٣٢)

أولاً : طبيعة العلم فى التفسير بالمأثور للقرآن :

دعا الإسلام إلى العلم وحث على طلبه، وصار العلم واجباً على كل إنسان كما صار حقاً له رجلاً كان أو أنثى، صغيراً كان أو كبيراً، وليس فى الإسلام ما يمنع طلب العلم النافع فى أى عمر ولا على أية حال، بل كان فيه دائماً الحرص على نشره والاستزادة منه.

ونال العلماء فى الإسلام كل التكريم، وكانت لهم المنزلة العالية والمكانة المرموقة، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة: ١١)، عن قتادة قال: إن بالعلم لأهله فضلاً، وإن له على أهله حقاً، ولعمري للحق عليك أيها العالم فضل، والله معطى كل ذى فضل فضله" (١).

فقد كرم الله العلماء ورفعهم درجات، فكانوا فى الدرجة الثالثة بعد الله سبحانه وتعالى وبعد الملائكة، كما فى قوله تعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط" (آل عمران: ١٨)، وزاد الله فى تكريمهم، فجعلهم فى المرتبة الثانية، كما فى قوله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا" (آل عمران: ٧) وفى التفسير بالمأثور للأية الكريمة يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الراسخ فى العلم بأنه: "من برت يمينه، وصدق لسانه، واستقام به قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ فى العلم"، وقال الطبرى: "هم

(١) عن قتادة (سنده): "حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيّد عن قتادة".

- تفسير الطبرى: ج٢٨، ص١٤.

العلماء الذين اتقنوا علمهم ووعوه فحفظوه حفظاً لا يدخلهم في معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولا لبس" (١) .

وفى التفسير بالمأثور للأية السابقة رأيان، الرأي الأول أن تكون الراسخون معطوفة على لفظ الجلالة أى وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم فى العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا، ومن قال ذلك ابن عباس قال أنا ممن يعلم تأويله" (٢) وهذا مما يؤكد القول بأن الله قد رفع العلماء إلى الدرجة الثانية. أما القول الثانى فى تفسيرها أن الراسخين فى العلم مستأنف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم يقولون أمنا بالمتشابهة وصدقنا أن علم ذلك لا يعلمه إلا الله ومن ذلك: عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسوخهم فى العلم أن أمنوا بحكمة ومتشابهه (*)

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنده) : "حدثنا موسى بن سهل الرملي قال ثنا محمد بن عبدالله قال ثنا فياض بن محمد الرقى قال ثنا عبد الله بن يزيد بن آدم عن أبي الدرداء وأبي أمامة قالا: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

- تفسير الطبرى : ج ٣ ، ص ١٢٣ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس".

- تفسير الطبرى : ج ٣ ، ص ١٢٢ .

(*) وورد تعريف المحكم والمتشابه من آيات القرآن الكريم فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى "هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات" (آل عمران: ٧) قال أبو جعفر : "اختلف أهل التأويل فى ذلك فمنهم من قال مثل ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنا أبى قال ثنا عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس المحكمات الناسخ الذى يدان به ويعمل به، والمتشابهات هن المنسوخات التى لا يدان بهن - وقال آخرون مثل ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد المحكمات مافيه الحلال والحرام، وماسوى ذلك فهو متشابه يصدق بعضه بعضاً وهو مثل قوله "وما يضل به إلا الفاسقين" ومثل قوله "كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون"، وقال آخرون مثل ما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمه عن محمد بن إسحق قال ثنا محمد بن جعفر بن الزبير المحكمات فيهن حجة الرب، وعصمة العباد وليس لها تصرف ولا تحريف عما وضعت عليه، وأخر متشابهة فى الصدق لهن تصرف وتحريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاه فى الحلال والحرام، ولا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق"

- تفسير الطبرى : ج ٣ ، ص ١١٤ : ١١٧ .

ولم يعلموا تأويله (١) . وقال أبو جعفر الطبري بالرأى الثاني .

ولقد ذكر الله العلماء فى آيات كثيرة بالقرآن الكريم ، وذلك تقديراً وتكريماً لهم ، ونعنوا فيها بأنهم أولو العلم ، وبأنهم الذين أوتوا العلم ، وهم الراسخون فى العلم .
كذلك ذكرت لفظة "سيد" من مسميات أهل العلم، فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين" (آل عمران : ٣٩) عن قتادة قال : أى والله لسيد فى العبادة والحلم والعلم والورع" . وعن سعيد بن المسيب ، قال السيد هو الفقيه العالم" (٢) .

وعن سمو منزلة العلماء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً ، اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا" (٣) .

==== ويتضح مما سبق أن لآيات القرآن المحكمات والمتشابهات ثلاثة تعريفات هي :

أولاً : المحكمات : هي النسخات التي يعمل بها ويدان بها .

المتشابهات : هي المنسوخات التي لا يعمل بها ولا يدان عليها .

ثانياً : المحكمات : هي ما أحكم فيه بيان الحال والحرام .

والمتشابهات : ما شابه بعضه بعضاً فى المعانى وإن اختلفت ألفاظه .

ثالثاً : المحكمات : ما يحتمل من التأويل وجهاً واحداً .

المتشابهات : ما يحتمل من التأويل أوجهاً .

(١) عن عائشة رضى الله عنها (سنده) : "حدثنى محمد بن عبد الله بن الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبى

مليكة عن عائشة رضى الله عنها" .

- تفسير الطبرى : ج ٣ ، ص ١٢٢ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

عن سعيد بن المسيب (سنده) : "حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن عبد الملك عن يحيى

عن سعيد بن المسيب .

- تفسير الطبرى : ج ٣ ، ص ١٧٣ .

(٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنده) : "حدثنى يحيى بن هشام قال حدثنى أبى قال سمعت عبد الله بن عمرو

يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

- الامام أحمد بن حنبل : المسند، مرجع سابق ، ج ١ ، رقم ٦٥١١ ، ص ٢٢ .

وأعطى الله بنى آدم القدوة الصالحة فى حرص رسله وأنبيائه على طلب العلم، وفي قيامهم بتعليم أهلهم ، فأصبح واجباً على كل مسلم أن يحذو حذوهم فيسعى إلى طلب العلم، دون أن يشغله عن ذلك شاغل ، وألا يكثر بالصعوبات التي قد تعوقه ، بل يصر على اجتيازها .

ومجال العلم واسع فهو يشمل العلوم الدينية التي أودعها الله لبنى آدم فى مصدرين هما القرآن الكريم والسنة النبوية، وما يتصل بهما ويتشعب عنهما من علوم دينية عديدة كالتفسير والفقه والعبادات وعلم الحديث والأحكام والشريعة وغيرها ، ويدور فى فلكهما من اجتهادات العلماء والدارسين. كما يشمل أنواعاً أخرى من العلوم تتصل بالجانب الدنيوى فى حياة الإنسان، وتسعى إلى إثبات الحقائق فيما يتعلق بالكون بجميع عناصره الحية وغير الحية .

ويمكن توضيح ذلك من خلال التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم :

١ - العلم الديني : يتضح تعريف العلم الديني من خلال التفسير بالمأثور للأيات القرآنية

التي تناولت ذكر العلماء والعالمين والذين أتوا العلم ، ففي قوله تعالى : "إنما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر : ٢٨) عن ابن عباس قال : "العلماء الذين يعلمون أن الله علي كل شئ قدير"، وعن قتادة قال : كان يقال كفى بالرهبة علماً" (١) .

وفى تفسير قوله تعالى : "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" (العنكبوت :

٤٣) ، قال الطبرى : "العالمون بالله وأياته" (٢) .

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى على قال حدثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس" .

عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .

- تفسير الطبرى : ح ٢٢ ، ص ٨٧ .

(٢) تفسير الطبرى : ح ٢٠ ، ص ٩٨ .

وفى التفسير بالمأثور : لقوله تعالى : "بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون" (العنكبوت : ٤٩) قال أبو جعفر الطبرى : "فى تفسير هذه الآية قولان : الأول أن المقصود بالذين أوتوا العلم أهل الكتاب ، وأنه عنى بالآيات البينات نبى الله صلى الله عليه وسلم . عن ابن عباس قال كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والأنجيل لأهل العلم ، وعلمه لهم وجعله لهم آية ، فقال لهم أن آية نبوته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتاباً ولا يخطه بيمينه وهى الآيات البينات، والقول الثانى يرى أنه عنى بالآيات البينات القرآن فى صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم. عن الحسن قال يعنى المؤمنين. (٢)

وكان للتفسير بالمأثور رأى بشأن تقدم ذكر العلم على الإيمان فى قوله تعالى : "وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث..". (الروم : ٥٦) فقد كان قتادة يقول هذا من المقدم الذى معناه التأخير، عن قتادة قال هذا من مقادير الكلام وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم ، وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول معنى ذلك : وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله، والإيمان بالله وكتابه. (٣).

فالله سبحانه قد وهب المؤمنين من بنى آدم العلم بدينهم وأصوله ، كما علمهم العبادات المفروضة عليهم من صوم وزكاة وحج وصلاة ، والأمثلة على ذلك كثيرة تحفل بها آيات القرآن الكريم، ومنها ما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "فإن خفتهم فرجالاً أو ركباناً فإذا أمنتهم

(٢) عن ابن عباس (سنده) : حدثني محمد بن سعد قال ثنا أبو قال ثنا عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس "

عن الحسن (سنده) : "حدثني القاسم ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن" .

- تفسير الطبرى : ج ٢٠ ، ص ٥ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج ٢١ ، ص ٣٧ .

فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون" (البقرة : ٢٣٩) عن إبراهيم فى تفسير قوله فرجالاً أو ركباناً قال عند المطاردة يصلى حيث كان وجهه راكباً أو راجلاً ويجعل السجود أخفض من الركوع ويصلى ركعتين يومئ إيماء" وقوله تعالى : "فاذا أمنتم .. قال أبو جعفر الطبرى : "فاذا أمنتم فزال الخوف فأقيموا صلاتكم وذكرى فيها وفى غيرها مثل الذى أوجبتة عليكم قبل حدوث حال الخوف ويعده" (١) ، فالتعليم هنا خاص بتعليم الصلاة فى حال الأمن وفى حال الخوف وقيل وفى السفر . وهذا العلم الدينى الواسع ، المتعدد الجوانب ، يعد خيراً عظيماً ينعم الله به على من يرضى عنه من عباده، عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين. (٢) .

٢ - العلم المتعلق بالجانب الدنيوى فى حياة الإنسان :

وورد فى التفسير بالمأثور لآيات قرآنية عديدة أن الله سبحانه وتعالى كان يعلم بنى آدم ويؤتهم من العلم مايتعلق بالجانب الدنيوى فى حياتهم تحقيقاً لأمره لهم بتعمير هذا الكون المسخر لهم "وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعاً". (البقرة: ١٣) فقد أباح لهم البحث عن الحقائق المتعلقة بالكون بكل عناصره، ودعاهم إلى تعميره والسعى فيه من أجل طلب الرزق وابتغاء فضل الله، قال تعالى: "فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له.." (العنكبوت : ١٧) وقد جمعت هذه الآية الكريمة بين جانبى حياة الإنسان الجانب الدنيوى فى تعمير الكون والسعى فى الأرض

(١) عن إبراهيم (سنده) : "حدثنى يعقوب عن إبراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم" .

- تفسير الطبرى : ج ٢ ، ص ٣٥٨ : ٣٥٩ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا سليمان قال أخبرنا إسماعيل قال أخبرنى عبد الله بن سعيد بن أبى هند عن أبيه

عن ابن عباس" .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج ٤ ، رقم ٢٧٩١ ، ص ٢٨٢ .

ابتغاء للرزق، والجانب الدينى المتمثل فى عبادة الله وشكره على نعمه، ومأتاحه لبنى آدم من الرزق .

ومن ذلك ماورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم" (البقرة : ١٩٨) عن أبى أمامه التميمى قال : قلت لابن عمر : إنا نكرى فهل لنا من حج؟ قال: أليس تطوفون بالبيت وتأتون المَعْرَفَ وترمون الجمار ، وتحلقون رؤوسكم ؟ قال : قلنا : بلى ، فقال ابن عمر : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذى سألتنى فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم" ، فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنتم حجاج" (١) فاشتغالهم بالأجر وقت الحج لم يمنع اعتبارهم حجاجاً طالما أنهم يؤدون مناسك العبادة ، وقد جمعوا بين جانبى الحياة الدينى والدنيوى .

فقد كرم الله الإنسان وأوجد له الرزق وذل له مصادره ، وسخر له الكون وجعله سبباً للحياة والرزق فليس فى الإسلام أليسعى الإنسان ويجاهد ، وليس فيه أن يتقاعد عن السعى اعتماداً على ما يصيبه من الرزق ، وإلا كان فى هذا تخلف المسلمين عن ركب الحياة وانقلابهم إلى دولة من المستضعفين فالإسلام لا يستفيد من انقطاع القادرين على طلب العلم والعمل والإنتاج والسير فى ركب الحضارة. لذا نهى عن ذلك. ولم يترك جانباً من الدنيا إلا أوصى بالعمل الحلال به، وقل أن تجد سورة دعت آياتها الإنسان إلى العمل من أجل الآخرة ولم تدعه إلى العمل الصالح فى الدنيا.. قال تعالى : "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين" (القصص : ٧٧) .

(١) عن أبى أمامه التميمى (سنده) : "حدثنا أسباط حدثنا الحسن بن عمرو الفقىمى عن أبى أمامه التميمى .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ٩ ، رقم ٦٤٣٤ ، ص ٢١١ .

ويوضح التفسير بالمأثور آيات القرآن الكريم إن الله سبحانه فتح أمام الإنسان طريق العلم، وعلمه أوليات كثير من العلوم النافعة، ليحرضه على الانطلاق في البحث عن الحقائق العلمية ووضع الأسس الثابتة لهذه العلوم .

ومن ذلك تربية الحيوان والانتفاع به وبمنتجاته ، قال تعالى : "ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله" (الأنعام : ١٤٢) . كذلك علم الله الإنسان الاستفادة من الحيوانات بتدريبها على الصيد وتعليمها أصول ذلك كما علمه الله، ففي التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ، وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم" (المائدة : ٤) عن ابن عباس : "الجوارح الكلاب والصقور المعلمة" ، يعنى المدربة على الصيد ، وقوله تعالى " تعلمونهن مما علمكم الله" عن السدى تعلمونهن من الطلب كما علمكم الله ، يعنى تعلمونهن طلب الصيد لكم من التأديب الذى أدبكم الله ، والعلم الذى علمكم " (١) . وعن تعليم الكلاب الصيد قال ابن عباس : "إذا أرسل الكلب فأكل من صيده فقد أفسده، وإن كان ذكر اسم الله حين أرسله ، فإنه إنما أمسك علي نفسه ، فإنه إذا أكل من صيده قبل أن يأتيه صاحبه فإنه ليس بمعلم، وأنه ينبغي أن يضرب ويعلم حتى يترك ذلك الخلق" (٢) .

ومما أتاحه الله للإنسان العلم بالحساب والفلك، ومما جاء فى تفسير قوله تعالى : "هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب" (يونس : ٥) قال أبو جعفر الطبرى : سواه منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها على حال واحدة أبداً لتعلموا أيها الناس عدد

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا محمد بن سعد قال ثنا أبى قال ثنا عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس .

عن السدى (سنده) : "حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن الفضل قال ثنا أسباط عن السدى" .

- تفسير الطبرى : ٦٠ ، ص ٥٧ : ٦٢ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قال ثنا إسماعيل بن إبراهيم قال ثنا أبو المعلى عن

سعيد بن جبيرة عن ابن عباس .

- نفس المرجع .

السنين دخول ما يدخل منها وانقضاء ما يستقبل منها ، ولتعلموا حساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها^(١) وقال أبو جعفر مثله بدون ذكر أقوال مأثورة في تفسير قوله "وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلها آية النهار مبصرة لتبتغوا من فضل ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلاً" (الإسراء : ٢٢) فقد يسر الله للإنسان تعلم الحساب بجعله القمر منازل وبمخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار يقول أبو جعفر الطبري : "ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاء وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها وكل شئ بينه الله بياناً شافياً"^(٢) .

وتدوين المحاسبات وكتابة الدين كان من الأمور التي أمر الله بها وعلمها للناس، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب .." إلى أن يقول تعالى : "واتقوا الله ويعلمكم الله وهو بكل شئ عليم" (البقرة : ٢٨٢) عن قتادة ولا يابن كاتب استكتب ذلك أن يكتب بينهم كتاب الدين كما علمه الله كتابته فخصه بعلم ذلك، وعن مجاهد ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله بمثله"^(٣) .

كما أعطى الله بنى آدم مثلاً في تعلم أنبيائه الصناعة حتى يقدموا على ذلك ، ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : "وأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا" (المؤمنون: ٢٧) قال أبو جعفر الطبري : "قال تعالى ذكره فقلنا له حين استنصرنا على كفره قومه اصنع الفلك وهي السفينة ، بأعيننا يقول بمرأى منا ومنظر، ووحينا يقول ويتعلمنا إياك صنعتها"^(٤) ، قاله سبحانه قد علم نبيه

(١) تفسير الطبري : ح ١١٠ ، ص ٦٢ .

(٢) تفسير الطبري : ح ١٥٠ ، ص ٣٨ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

عن مجاهد (سنده) : "حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد" .

- تفسير الطبري : ح ٣٠ ، ص ٧٨

(٤) تفسير الطبري : ح ١٨٠ ، ص ١٣ .

نوح صناعة السفن، وكذلك علم نبيه داود صناعة الأسلحة والدروع وهو ما ذكر في التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم" (الأنبياء: ٨٠) قال أبو جعفر الطبرى "اللبوس عند العرب السلاح كله درعاً كان أو جوشنا أو سيفاً أو رمحاً، عن قتادة قال : كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود عليه السلام (١) .

بالعلم يحارب الإنسان الجهل، ويمنع تفشى الخرافات ، ويعرف مافيه النفع فى الدنيا ومافيه الضرر ، فيقدم على مافيه الخير والنفع له ، ويتجنب مافيه ضرره وخسارته .

قال الطبرى: حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام، قوله تعالى: "قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراءً على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين" (الأنعام : ١٤٠) .

وفى التفسير بالمأثور للأية قال قتادة : "كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقه ، وقوله تعالى : "وحرموا ما رزقهم الله" قال هم أهل الجاهلية جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحامياً تحكماً من الشياطين فى أموالهم" (٢) .

وقد نهى الله عن تحريم هذه النعم التي أحلها للناس فقال تعالى: "ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون" (المائدة : ١٠٣) ، وفى تفسيرها بالمأثور عن علقمة قال : هذا شئ كان يفعله أهل الاجاهلية ، وعن الشعبى قال البحيرة المخضمة، والسائبة ماسيب للهدى، والوصيلة إذا ولدت بعد أربعة أبطن ثم ولدت

(١) عن قتادة (سنده) : حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة .

- تفسير الطبرى : ح١٧، ص٤١ .

(٢) عن قتادة : (سنده) : حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

- تفسير الطبرى : ح٨، ص٣٨ .

الخامس أنثى وصلت أخاها، والحام الذي قد ضرب أولاد أولاده فى الإبل" وقد أبطل الإسلام ذلك" (١) .

فهؤلاء الجاهلون حرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم لأنهم افتقدوا العلم الذى يعرفون به كيفية الانتفاع بهذه النعم والطيبات ، كما افتقدوا العلم الذى يعلمهم كيف يحفظون أبناءهم وبناتهم ويحسنون تربيتهم بما يعود عليهم جميعاً بالنتع والفائدة .

والله سبحانه وتعالى علم بنى آدم تنظيم حياتهم فى مجتمعات آمنة يراعى فيها سلامة أفرادها، ويحافظ فيها على كيان الأسرة ويعطى كل فرد فيها حقوقه ويعرف بواجباته، ومن أمثلة ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى : "وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون " (البقرة : ٢٤١ - ٢٤٢) قال أبو جعفر الطبرى "يقول تعالى ذكره كما بينت لكم ما يلزمكم لأزواجكم ويلزم أزواجكم لكم أيها المؤمنون ، وعرفتكم أحكامى والحق الواجب لبعضكم على بعض فى هذه الآيات (٢) .

فكان الاهتمام واجباً بعلوم الاجتماع والتربية وغيرها من العلوم الإنسانية، كما تبين ضرورة الاهتمام بالرياضيات والعلوم التى ينتفع بها الإنسان فى جميع مجالات حياته .

وهكذا اتضحت من خلال التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم طبيعة العلم الذى دعا الإسلام إليه وحث على طلبه ، فرفع من مكانه العلماء وسما بمنزلتهم، وذكرهم كثيراً فى كتابه الكريم.

فقد كان العلم شاملاً للعلوم الدينية المتشعبة عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة: ومنها علم التفسير والفقه والقراءات والحديث والأحكام والشرائع والعبادات وغير ذلك كثير .

كما شمل العلم أيضاً علوماً تتعلق بالجانب الدنيوى وتستقيم بها حياة الإنسان فى هذا الكون، فهى تعينه على التقدم فى الحياة وتعمير هذه الأرض تنفيذاً لأمر الله بذلك .

(١) عن علقمة (سند) : حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن علقمة

عن الشعبي (سند) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن الشعبي"

- تفسير الطبرى : ح٢، ص٤٦ .

(٢) تفسير الطبرى : ح٢، ص٣٦٥ .

راتضح من خلال التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم إن الله سبحانه فتح أمام الإنسان طريق هذه العلوم ، بل وعلمه أوليات كثير منها ، ليحرضه على الانطلاق فى البحث عن الحقائق ووضع الأسس الثابتة لهذه العلوم .

ومن هذه العلوم التي علم الله الإنسان أولياتها من خلال آيات القرآن الكريم مايتعلق بطرق كسب الرزق كتربية الحيوان والانتفاع به، وتدريبه على الصيد بأنواعه ، وكالصناعة ، ومايتعلق بالحساب وتدوينه وبالفلك ، ومايتعلق بالحياة الاجتماعية والإنسانية كتنظيم المجتمعات ، وحقوق الأفراد ، والتربية الشاملة .

ثانياً : مصادر العلم فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم :

١ - العلم إلهى المصدر ، فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "إنك أنت العليم الحكيم" (البقرة : ٣٢) قال ابن عباس : "العليم الذى قد كمل فى علمه، والحكيم الذى قد كمل فى حكمه، وقد قيل إن معنى الحكيم الحاكم ، والعليم بمعنى العالم" (١) .
والعليم اسم من أسماء الله الحسنى ، ذكر فى القرآن الكريم فى مائة وأربعين آية، كما ذكرت "عليماً" فى ثنتين وعشرين آية، وعلام فى أربع آيات" (٢).
وعلم الله واسع يحيط بالدنيا بكل مخلوقاتها "وسع ربي كل شئ علماً" (الأنعام : ٨٠) قال إبراهيم : علم ربي كل شئ فلا يخفى عليه شئ لأنه خالق كل شئ" (٣). فالعلم قرين الخلق وكلاهما

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية عن على عن ابن عباس".

- تفسير الطبرى : ج١، ص ١٧٥ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،

بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٤٧٦.

(٣) عن إبراهيم (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن إبراهيم".

- تفسير الطبرى : ج٧ ص ١٦٦ .

إلهى المصدر" ألا يعلم من خلق" (الملك : ١٤) ، وعلم الله الواسع يحيط بالسموات والأرض بكل ما احتوت من مخلوقات الله، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وسع كرسیه السموات والأرض" - (البقرة : ٢٥٥) عن ابن عباس قال : كرسیه : علمه ، وأخبر الطبرى أنه "لا يؤده حفظهما" أى لا يثقل عليه حفظ ما علم وأحاط به مما فى السموات والأرض كما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا فى دعائهم ربنا وسعت كل شئ ورحمة وعلماً فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شئ ، كذلك قوله كرسیه وأصل الكرسى العلم، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة، ومنه يقال للعلماء الكراسى لأنه المعتمد عليهم (١) .

وعلم الله ينفرد بالغيبيات "قل إنما العلم عند الله" (الملك : ٢٦). يقول أبو جعفر الطبرى: "قاله تعالى عنده علم الساعة لذلك يقول لنبیه محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية قل يا محمد لهؤلاء المستعجلين بالعذاب وقيام الساعة إنما علم الساعة ومتى تقوم القيامة عند الله لا يعلم ذلك غيره" (٢) وكان ذلك إجابة لسؤال المستعجلين "ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين" (الملك: ٢٥). ومن تفسير القرآن بالقرآن ماورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو" (الأنعام : ٥٩) عن ابن عباس "وعنده مفاتيح الغيب" قال: هن خمس "أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت" وهى الآية : ٣٤ فى سورة لقمان. وعن السدى "وعنده" مفاتيح الغيب" قال: يقول خزائن الغيب" (٣).

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا أبو كريب وسلم بن جنازة قالا حدثنا ابن ادریس عن مطرف عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس"

- تفسير الطبرى : ج٣، ص٧ .

(٢) تفسير الطبرى : ج٢٩، ص٨ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جریج عن عطاء الخرسانى عن ابن

عباس".

وعلم الله الواسع لا يقتصر على عالم الغيب فقط ، ولا عالم الشهادة فقط بل يشملهما جميعاً ولا يغيب عنه شئ فيهما قال تعالى : "يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ، وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى ورى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين" (سبا : ٢ ، ٣) وفي التفسير بالمأثور لهذه الآية عن مجاهد قال : لا يغيب عنه شئ من زنة ذرة فمافوقها فمادونها أين كان في السموات ولا في الأرض فإن الله تعالى قد أثبتته وأحصاه وعلمه (١).

ولأن علم الله قد وسع عالمي الغيب والشهادة فإنه يعلم كل شئ عن الإنسان - ذلك الجزء الصغير من الكون الهائل - فيعلم عنه ما يعلنه ويجهر به كما يعلم ما يضمه في نفسه ولا يظهره على أحد ، قال تعالى "وأسرأ قولكم أو اجهرأ به إنه علیم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (الملك ١٣ ، ١٤). قال أبو جعفر الطبري : "يقول جل ثناؤه وأخفوا قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنوه وأظهره إنه ذو علم بضمائر الصدور التي لم يتكلم بها فكيف بما نطق وتكلم به، وكيف يخفى عليه خلقه الذي خلقه وهو اللطيف بعباده الخبير بهم وبأعمالهم (٢).

والله يعلم ما فيه نفع الناس، كما يعلم ما فيه ضررهم، فيرشدهم إلي ما فيه خيرهم وصلاتهم، قال ابن عباس : كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عباس أرض عن الله بما قدر، وإن

== عن السدي (سنده) : "حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن الفضل قال ثنا أسباط عن السدي".

- تفسير الطبري : ج ٧ ، ص ١٣٦ .

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد".

تفسير الطبري ج ٢٢ ، ص ٤٢ .

(٢) تفسير الطبري : ج ٢٩ ، ص ٥ .

كان خلاف هواك، فإنه مثبت في كتاب الله ، قلت: يارسول الله فأين وقد قرأت القرآن، قال في قوله: "كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون" (البقرة: ٢١٦) وقال أبو جعفر "يعني جل ثناؤه بذلك أن قتالكم إياهم هو خير لكم في عاجلكم ومعادكم، وترككم قتالهم شر لكم وأنتم لا تعلمون من ذلك ما أعلم" (١)

ويظهر ذلك في التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شئ عليم" (المائدة : ٧٩) عن ابن زيد كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض ، ولم يكن في العرب ملوك تدفع بعضهم عن بعض، فجعل الله تعالى لهم البيت الحرام قياماً والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض ويلقى الرجل قاتل أخيه فلا يعرض له، وهذا كله قد نسخ" (٢) وقال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله ذلك تصبيره الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد(*) كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث مما به قوامكم علماً منه بمنافعكم ومضاركم إنه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم" (٣).

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثني محمد بن ابراهيم السلمي قال ثنى يحيى بن محمد بن مجاهد قال اخبرني عبيد

الله بن أبي هاشم الجعفي قال اخبرني عامر بن وائلة قال ابن عباس .

- تفسير الطبري : ج٢، ص ٢٠١ .

(٢) عن ابن زيد (سنده) : حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد

تفسير الطبري : ج٧، ص ٥٠ .

(*) فقد كان ناس يتقلدون لحاء الشجر في الجاهلية إذا أرادوا الحج فيعرفون بذلك .

(٣) نفس المرجع .

وعلم الله الواسع لا يعلمه سواه.. ففى تفسير قوله تعالى: "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون" (النور : ١٩) قال أبو جعفر الطبري : "والله يعلم كذب الذين جاؤا بالإفك من صدقهم وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك لأنكم لا تعلمون الغيب وإنما يعلم ذلك علام الغيوب" (١) .

وقد تبين مما سبق أن الله سبحانه وتعالى هو العليم وأن المصدر الأساسى للعلم هو المصدر الإلهى، ذلك أن علم الله الواسع أحاط بكل مخلوقات الدنيا فى السماء والأرض وبكل ما شمله عالم الغيب والشهادة، كما يعلم كل شئ عن الإنسان ما يظهره وما يخفيه ويعلم ما ينفعه وما يضره، فإن الله يعلم والناس لا يعلمون "إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علماً" (طه : ٩٨) .
أ - الله سبحانه علم آدم عليه السلام :

لما كان العلم الواسع كله عند الله فقد سمح الله للإنسان ولغيره من المخلوقات بالقدر الذى شاء لهم من علمه الواسع ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء" (البقرة : ٢٢٥) عن مجاهد يعلم ما بين أيديهم مامضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة" ، وعن السدى "ولا يحيطون بشئ من علمه" قال لا يعلمون بشئ من علمه إلا بما شاء هو أن يعلمهم" (٢) ، فكان الله تعالى بما وهبه لمخلوقاته من العلم قد علم خلقه .

ومهما نال الإنسان من علم الله الواسع فلن ينقص ذلك منه مقدار قطرة فقد جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً" (الكهف : ٦٦)، وتحكى الآية قصة موسى مع الخضر عليهما السلام عن أبى ابن كعب عن النبى صلى الله عليه

(١) تفسير الطبري : ج١٨، ص ٨٠ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن نجيج عن مجاهد"

عن السدى (سنده) : "حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى"

- تفسير الطبري : ج ٣، ص ٧ .

وسلم قال : ... فانطلقا يمشيان على الساحل ، فجاء عصفور فنقر فى الماء ، فقال الخضر لموسى
مانقص علمى وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر أونقص هذا العصفور من البحر (١) .

ولما خلق الله آدم لم يتركه ضائعاً فى الكون، وإنما تعهده بالتعليم مع بداية الخليقة، ففى
التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة .. إلي قوله
وعلم آدم الأسماء كلها" (البقرة : ٣٠ ، ٣١) قال أبو جعفر : "اختلف أهل التأويل فى الأسماء التى
علمها الله آدم .

عن مجاهد قال : علمه اسم كل شئ هذه الخيل وهذه البغال والإبل والجن وجعل يسمى كل
شئ باسمه، وقال آخرون علمه أسماء ذريته كلها، وقال آخرون علمه أسماء الملائكة كلها" (٢) .
وأورد الطبرى كثيراً من أقوال المفسرين تدور فى نطاق هذه الآراء الثلاث قم قال أن أولى الأقوال
بالصواب قول من قال أنها أسماء ذريته كلها وأسماء الملائكة دون أسماء سائر أجناس الخلق معللاً
ذلك تعليلاً لغوياً يتعلق باستخدام الضمائر فى الآية (*) .

وذكر ابن كثير فى تفسيره الآراء السابقة بينما رأى أن الصحيح قول من قال علمه أسماء
الأشياء كلها. (٣) وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن نبى إلا له
دعوة تنجزها فى الدنيا وإنى اختبأت دعوتى شفاعت لأمتى، ويقول : ويطول يوم القيامة على الناس
حتى يقول بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربه، فيأتون آدم فيقولون أنت

(١) تفسير الطبرى : ج١٥ ، ص ١٨٠ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد"

تفسير الطبرى : ج١ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(*) انظر نفس المرجع .

(٣) تفسير ابن كثير : ج١ ، ص ٧٣ .

أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ فاشفع لنا ربك يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر ذنبه ويستحي.."^(١)، وما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس يتفق ورأى ابن كثير وقول من قال أن الله علم آدم أسماء الأشياء كلها .

ب - الله سبحانه علم رسله وأنبياءه :

وهب الله الرسل العلم، وعلمهم معاني الكتب والصحف التي أنزلت عليهم ، كما علم الأنبياء فهم هذه الكتب ووهبهم النبوة والحكمة .

فقد علم الله نبيه الأُمى القراءة في أول سورة نزلت عليه ، وفي ثانی سورة ذكرت الكتابة والأدوات اللازمة لها، عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : "كان أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي والرؤيا الصادقة كانت تجي كفلق الصبح ، ثم حبيب إليه الخلاء فكان بغار حراء .. ، حتى فجأه الحق فأتاه قال يا محمد أنت رسول الله ، قال رسول الله فجثوت لركبتي وأنا قائم ثم رجعت ترتجف بوادري .. ، فقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله ثم قال : اقرأ قلت ما اقرأ ، قال فأخذني فغطني ثلاث مرات حتى بلغ من الجهد ، ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق .. ثم كان أول ما نزل على من القرآن بعد اقرأ نون والقلم وما يسطرون"^(٢) ، وقد ذكر هذا في التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "اقرأ باسم ربك الذي خلق" (العلق : ١).

ولم يقصد بالقراءة التي تعلمها الرسول صلى الله عليه وسلم معناها المعروف والذي يقتصر على قراءة الكلمة المكتوبة، وإنما الذي يتعدها إلي قراءة كل ماتسمعه الأذن، وماتقع عليه

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا حسن ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة قال خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فقال :

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج٤ ، رقم ٢٦٩٢ ، ص ٢٤١ .

(٢) عن عائشة رضی الله عنها (سنده) : "حدثني أحمد بن عثمان البصري قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا أبي قال سمعت

النعمان بن راشد يقول عن الزهري عن عروة عن عائشة .

- تفسير الطبري ، ج ٣٠ ، ص ١٦١ .

العين، وماتمه أى حاسة من حواس الإنسان، إنها قراءة للمكتوب والمنظور والمسموع والمحسوس أيضاً، وتوضح هذا المعنى الواسع للقراءة فى قوله تعالى: ﴿إِذْ عَلَّمْنَا قُرْآنَهُ . نَازِلًا مُرَاتِنًا فَاتِحًا مُرَدِّدًا﴾ (الْقَامَةِ : ١٧ ، ١٨)

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ن والقلم وما يسطرون" (نون : ١) عن عطاء قال سألت الوليد بن عباد بن الصامت كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت فقال دعانى فقال أى بنى اتق الله واعلم أنك لن تتقى الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده ، والقدر خيره وشره إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أن أول ما خلق الله خلق القلم فقال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب القدر قال فجرى القلم فى تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد (١) .

وقيل فى تفسير "النون" أنها الدواة . عن ابن عباس قال إن الله خلق النون وهى الدواة وخلق القلم فقال اكتب فقال ما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام، ثم ألزم كل شئ من ذلك شأنه ، دخوله فى الدنيا ومقامه فيها كم، وخروجه منها كيف، ثم جعل على العباد حفظه وللكتاب خزاناً، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل ، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول الخزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا ثم قال ابن عباس أستم قوماً عربياً تسمعون الحفظة يقولون إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ، وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل (٢)، فقد أراد ابن عباس أن مايكتب للإنسان من عمله اليومى هو نسخة من الأصل الذى قدره الله وكتبه له فى بداية الحياة . ويتفق مع هذا حديث مجاهد قال

(١) عن عطاء (سنده) : "حدثنى محمد بن صالح الأنماطى قال ثنا عباد بن العوام قال ثنا عبد الواحد بن سليم قال عن عطاء .

- تفسير الطبرى : ج٢٩ ، ص ١١ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب قال ثنا أخى عيسى ابن عبد الله عن ثابت البنانى عن ابن عباس .

- تفسير الطبرى ج٢٩ ، ص ١٠ .

سمعت عبد الله -لاندري ابن عمر أو ابن عباس - قال أن أول ما خلق الله القلم ، فجرى القلم بما هو كائن، وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فرغ منه. (١)

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وما يسطرون" عن قتادة قال : وما يكتبون يقال منه سطر فلان الكتاب فهو يسطر سطرًا إذا كتبه (٢) . فكان أول ما تعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم على يد جبريل عليه السلام بأمر الله سبحانه وتعالى هو القراءة ، وثانى ما تعلمه أن القلم والكتابة قد سطرًا القدر المقدر للخليفة كلها بأمر الله .

كذلك علم الله رسوله القرآن ، وفى تفسير قول تعالى : " وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً" (النساء : ١١٣) ، قال أبو جعفر الطبرى : "ومن فضل الله عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم مع سائر ما تفضل به عليك من نعمة أنه أنزل عليك الكتاب وهو القرآن الذى فيه بيان كان شىء وهدى وموعظة وحكمة ، والحكمة هى ما كان فى الكتاب مجملًا ذكره من حلاله وحرامه وأمره ونهيه وأحكامه ووعدده ووعدده وعلمك ما لم تكن تعلم من خير الأولين والأخريين وما كان وما هو كائن" (٣) .

ومما يذكر فى التفسير بالمأثور عن تعليم الله رسوله خير الأولين ما جاء فى تفسير قوله تعالى : "ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات" (الإسراء : ١٠١) ، عن صفوان بن عسال قال : قال يهودى لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبى ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه عن تسع آيات بينات ، فقال هن ولا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال حدثنا أبو هاشم أنه سمع مجاهدًا .
- نفس المرجع .

(٢) عن قتادة (سنده) : حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة .
- تفسير الطبرى : ج٢٩ ، ص ١٢ .

(٣) تفسير الطبرى : ج٥ ، ص ١٧٧ .

بالحق ، ولا تمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تولوا يوم الزحف ، وعليكم خاصة يهود أن لاتعدوا فى السبت ، قال فقبلوا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي ، قال فما يمنعكم أن تتبعونى قالوا أن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود. (١) فالله سبحانه وتعالى أعطى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من العلم الكثير بينما كان لله تعالى الانفراد المطلق بعلم الغيبيات، عن عبد الله بن مسعود قال : أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شىء غير الخمس : (أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت، ان الله عليم خبير) (٢) وهى الآية (لقمان : ٣٤) .

وكما علم الله رسوله محمداً خاتم الأنبياء والرسل فقد علم الرسل السابقين عليه، ففى تفسير قوله تعالى : "إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهدي وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.. (المائدة : ١١٠)" قال أبو جعفر الطبرى : "إذ علمتك الكتاب وهو الخط، والحكمة وهى الفهم بمعانى الكتاب الذى أنزلته إليك وهو الإنجيل" (٣) .

(١) عن صفوان بن عسال (سنده) : "حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله بن إدريس وأبو أسامة بن حنوه عن شعبه بن الحجاج عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال .

- تفسير الطبرى : ج١٥ ، ص ١١٥ .

(٢) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن عبد الله بن مسعود" .

- الإمام أحمد بن حنبل ، المستند ، مرجع سابق ، ج٦ ، رقم ٤١٦٧ ، ص ١٠٠ .

(٣) تفسير الطبرى : ج٧ ، ص ٨٣ .

وكان الله قد قدر لعيسى هذا العلم وأخبر به مريم قبل ولادته ، كما جاء فى تفسير قوله تعالى : "قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل" (آل عمران : ٤٧ ، ٤٨) ، قال أبو جعفر الطبرى : "الكتاب هو الخط الذى يخطه بيده ، والحكمة هى السنة التى نوحىها إليه فى غير كتاب ، والتوراة التى أنزلت على موسى والإنجيل لم يكن قبله ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحىه إليه" (١) .

وقبل عيسى علم الله نبيه موسى التوراة قال تعالى : "وإذ أتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون" (البقرة : ٥٣) ، عن أبى العالية قال الكتاب هو الفرقان فرق به بين الحق والباطل. (٢) وأتى الله ابراهيم عليه السلام العلم منذ الصغر ، فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ولقد أتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين" (الأنبياء : ٥١) عن مجاهد قال هديناه صغيراً. (٣) وفى سورة الأنبياء يذكر الله الأنبياء الذين هداهم وأتاهم العلم والحكمة ، فقد قال تعالى : "ولوطاً أتيناها حكماً وعلماً" (الأنبياء : ٧٤) قال أبو جعفر : "يقول تعالى ذكره وأتينا لوطاً حكماً وهو فصل القضاء بين الخصوم ، وأتيناها ، علما بأمر دينه ومايجب عليه لله من فرائضه. (٤)

(١) تفسير الطبرى : ج ٣ ، ص ١٨٩ .

(٢) عن أبى العالية (سنده) : "حدثنى المشنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية".

- تفسير الطبرى : ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجیح عن مجاهد".

- تفسير الطبرى : ج ١٧ ، ص ٢٧ .

(٤) تفسير الطبرى : ج ١٧ ، ص ٣٧ .

وعلم الله أنبياءه ، أحكامه وكيفية الفصل بين المتنازعين ، ومن ذلك أن داود عليه السلام كان قد حكم بأن الغنم التي أفسدت الحرث تكون كلها لصاحب الحرث جزاء ما أفسدته، ولكن نبي الله سليمان لم يرض بهذا، وأفهمه الله كيف يكون الفصل بين المتنازعين ، فحكم سليمان بأن يتبادل الطرفان، فيأخذ صاحب الحرث الغنم لينتفع ببيع أولادها وأصوافها ، حتى يوفى ثمن ما فسد من زرعها، وأصحاب الغنم يأخذون الأرض فيبذرونها ويحرثونها حتى تعود كما كانت ، وفي العام المقبل يرد كل شيء إلى أصحابه ، قال تعالى : "وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا أتينا حكما وعلما" (الأنبياء: ٧٨ ، ٧٩) قال أبو جعفر : "وكلهم من داود وسليمان والرسول الذين ذكرهم الله في أول هذه السورة أتينا حكماً وهو النبوة وعلما بأحكام الله. (١)

وكذلك علم الله نبيه يوسف عليه السلام كما جاء في قوله تعالى : "وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولتعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ولما بلغ أشده أتيناها حكماً وعلماً كذلك نجزي المحسنين" (يوسف : ٢١ ، ٢٢) ، وقال أبو جعفر الطبري: "حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق : يقول هذا الذي أذكر أنى أعلمه من تعبير الرؤيا مما علمنى ربي فعلمته" (٢) وكان هذا في تفسير قوله تعالى : "قال لا يأتيكما طعام تزرعانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربي" (يوسف : ٣٧) وفي قوله "أتيناها حكما وعلما" (يوسف : ٢٢) عن مجاهد قال : العقل والعلم قبل النبوة" (٣) .

(١) تفسير الطبري : ج١٧ ، ص٣٨ .

(٢) تفسير الطبري : ج١٢ ، ص١٢٩ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثني المثنى قال أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد" .

- تفسير الطبري : ج١٢ ، ص١٠٦ .

وذكر على لسان نوح ماجاء فى قوله تعالى: "أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون" (الأعراف : ٦٢) قال أبو جعفر الطبرى : "يقول أعلم من الله أن عقابه لا يرد عن القوم المجرمين" (١) .

ومن ذلك ماجاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً (الإسراء : ٥٥) . قال أبو جعفر الطبرى : "فضل الله بعض النبيين على بعض بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق وبعضهم إلى الجميع ورفع بعضهم على بعض درجات عن قتادة قال : "اتخذ الله إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليماً وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمه الله وروحه، وأتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأتى داود زبوراً ، وغفر لمحمد ماتقدم من ذنبه وماتأخر" (٢) وفى تفسير نفس الآية عن ابن جريج قال كلم الله موسى وأرسل محمداً إلى الناس كافة" (٣) .

ح - الله سبحانه يعلم بنى آدم :

كما علم الله آدم عليه السلام فقد علم بنيه ، وما يذكر فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "خلق الإنسان ، علمه البيان" (الرحمن : ٣ ، ٤) عن قتاده قال : الانسان آدم عليه السلام ، وقال آخرون بل عنى بذلك الناس جميعاً ، وإنما وحد فى اللفظ لأدائه عن جنسه ، كما قيل إن الإنسان لفى خسر ، والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب" (٤) .

(١) تفسير الطبرى : ح ٨ ، ص ١٥١ .

(٢) عن قتادة (سنده) "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده" .

- تفسير الطبرى : ح ١٥ ، ص ٧١ .

(٣) عن ابن جريج (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج" .

- نفس المرجع .

(٤) عن قتاده (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج ٢٧ ، ص ٦٧ .

أما البيان الذى علمه الله الإنسان فى تفسيره قولان: الأول أنه بيان الحلال والحرام، فعن قتادة علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه ليحتج بذلك على خلقه، وعن قتادة بإسناد آخر قال تبين له الخير والشر وما يأتى وما يدع" ، والقول الثانى فى تفسير البيان أنه الكلام قال أبو جعفر: "والصواب فى ذلك أن يقال معنى ذلك أن الله علم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام والمعاش والمنطق وغير ذلك^(١).

وكما علم الله الأنبياء فإنه علم آلهم وأقوامهم كذلك ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أخبرنى عمر بن الخطاب أنهم بيناهم جلوس أو قعود عند النبى صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يمشى، حسن الوجه، حسن الشعر، عليه ثياب بيض، فنظر القوم بعضهم إلى بعض: مانعرف هذا، وما هذا بصاحب سفر، ثم قال: يارسول الله، آتيك؟ قال : نعم ، فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذه، فقال : ما الإسلام؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، قال : فما الإيمان؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته والجنة والنار والبعث بعد الموت والقدر كله، قال : فما الإحسان ؟ قال أن تعمل لله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال فمتى الساعة ؟ قال ماالمستول عنها بأعلم من السائل ، قال : فما أشراتها ، قال: إذا العراة الحفاة العالة رعاء الشتاء تطاولوا فى البنيان، وولدت الإماء رباتهن، قال: ثم ، قال : ثم، قال على الرجل ، فطلبوه فلم يروا شيئاً فمكث يومين أو ثلاثة ثم قال : ياابن الخطاب أتدرى من السائل عن كذا وكذا ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : ذاك جبريل جاء يعلمكم معالم دينكم^(٢).

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

عن قتادة (سنده) : "حدثنى ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ٢٧ ، ص ٦٧ .

(٢) عن عبد الله بن عمر (سنده) : "قال الامام أحمد : قرأت على يحيى بن سعيد عن عثمان بن غياث حدثنى عبد الله

بن بريدة عن يحيى بن يعمر وحמיד بن عبد الرحمن الحميرى قالوا لقينا عبد الله بن عمر،

فقال .

- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ١ ، رقم ١٨٤ ، ص ٢٣٤ .

ومما يذكر في تعليم الله آل الأنبياء والرسل ، ما جاء في تفسير قوله تعالى : "فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً" (النساء : ٥٤) قال أبو جعفر : "يقول تعالى ذكره فقد أعطينا آل إبراهيم يعني أهله وأتباعه على دينه كتاب الله الذي أوحاه إليهم وذلك كصحف إبراهيم وموسى والزيور وسائر ما أتاهم من الكتب وأما الحكمة فما أوحى إليهم مما لم يكن كتاباً مقروءاً" (١).

وفي التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم" (البقرة : ٢٤٧) قال أبو جعفر : "حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أن الله بسط له في العلم والجسم ، وأتاه من العلم فضلاً على ما أتى غيره من الذين خوطبوا بهذا" (٢) أي كان القدر الذي أعطاه الله طالوت من العلم يزيد عن القدر الذي أعطاه بني إسرائيل ، مما يدل على أن الله قد أعطاهم من العلم أيضاً .

من البشر من يعلمهم الله ما يشاء من العلم بطريق الفيض والإلهام ، كما جاء في التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ولقد آتينا لقمان الحكمة" (لقمان : ١٢) عن مجاهد أنه قال كان لقمان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً ، عن قتادة قوله وآتينا لقمان الحكمة قال الحكمه أي الفقه في الإسلام ولم يكن لقمان نبياً ولم يوح إليه" (٣) فالله وهب لقمان علماً وهو لم يك نبياً بل كان من سائر البشر .

روى الإمام أحمد في مسنده : "حدثنا سفيان عن مطرف الشعبي عن أبي جحيفة قال : سألتنا علياً : هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء بعد القرآن ؟ قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتیه الله عز وجل رجلاً في القرآن، أو مافى الصحيفة قلت ومافى الصحيفة؟

(١) تفسير الطبري : ج ٥ ، ص ٨٩ .

(٢) تفسير الطبري : ج ٢ ، ص ٣٨٠ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنا ابن المنثري قال ثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عبد الحكم عن مجاهد" .

عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبري : ج ٢١ ، ص ٤٣ .

قال : العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر." (١) فالله يهب من يشاء فهماً فى القرآن وعلماً به .

ومن ذلك أيضاً ماجاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم" (التقص : ٧) عن قتادة قال وأوحينا إلى أم موسى وحيا جاءها من الله فقذف فى قلبها وليس بوحي نبوة" (٢) .

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً" (البقرة : ٢٦٩) ، قال الطبرى : "يعنى بذلك جل ثناؤه يؤتى الله الإصابتة فى القول والفعل من يشاء من عباده ، والإصابتة فى الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة عن مجاهد قوله يؤتى الحكمة من يشاء قال ليست بالنبوة ولكنه القرآن والعلم والفقه (٣) .

فالله سبحانه وتعالى يعلم بنى آدم فيؤتى العلم من يشاء من عباده ، ويؤتى من يشاء فهماً فى القرآن، ويؤتى من يشاء الفقه فى الدين ، ويقذف فى قلب من يشاء بفيضه وإلهامه .

٢ - الرسل والأنبياء والعلم :

أ - الرسل والأنبياء يطلبون العلم :

كان الرسل والأنبياء يحرصون على العلم ويسألون الله أن يهديهم طريقه ، فقد ذكر فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم أن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل أن يدلّه على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه : عن ابن عباس قال سأل موسى ربه وقال رب أى عبادك أحب إليك ؟ قال الذى

(١) الامام أحمد بن حنبل : المسند "مرجع سابق ، ج ٢ ، رقم ٥٩٩ ، ص ٣٥ .

(٢) عن قتادة (سنده) "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة"

- تفسير الطبرى : ج ٢٠ ، ص ٢١ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد"

- تفسير الطبرى : ج ٣ ، ص ٦٠ .

يذكرني ولا ينساني ، قال فأى عبادك أقضى ؟ قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أى رب أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس إلى علم نفسه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى ، قال رب فهل فى الأرض أحد ، قال نعم ، قال رب فمن هو ؟ قال هو الخضر ، قال وأين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التى ينقلت عندها الحوت فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله^(١) وكان ذلك فى تفسير قوله تعالى "فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً" (الكهف : ٦٥).

فكان الله عز وجل يعلم الرسل والأنبياء من العلم ما يشاء ويتقدره لكل منهم ، وكان علم كل نبي يختلف كما وكيفاً عن علم غيره من الأنبياء ، ويتضح ذلك فيما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً" (الكهف : ٦٦) ، وكان ذلك من خلال الحوار الذى دار بين موسى والخضر عليهما السلام قال الطبرى : "حدثنا أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أن موسى قام فى بنى اسرائيل خطيباً فقبل أى الناس أعلم ؟ فقال أنا ، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه ، فقال بلى عبداً لى عن مجمع البحرين فقال يارب كيف به .." - فأرشده الله إلى مكانه كما ذكر فى تفسير الآية السابقة إلى أن يقول : "فأتيا الصخرة ، فإذا رجل نائم مسجى بثوبه ، فسلم عليه موسى وقال أنا موسى بنى اسرائيل قال ياموسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لاتعلمه ، وأنت على علم من علمه علمكه لأعلمه ، قال فاني أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً ، فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً"^(٢).

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى ابن حميد قال ثنا يعقوب بن هرون عن عنتره عن أبيه عن ابن عباس ."

- تفسير الطبرى : ج ١٥ ، ص ١٨٠ .

(٢) نفس المرجع .

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وقل رب زدنى علماً" (طه : ١١٤) ، قال ابن عيينه "أى زدنى منك علماً ، ولم يزل صلى الله عليه وسلم فى زيادة حتى توفاه الله عز وجل. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علماً والحمد لله على كل حال" (١) .

فكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يطلب العلم والاستزادة منه والنفع به ، كما طلب سيدنا موسى من قبله وكما طلب باقى الأنبياء ، مما يؤكد حرصهم على تحصيل ولو قطرات من علم الله الواسع .

ب - الرسل والأنبياء يعلمون بنى آدم :

لم يرض الله للإنسان أن يحيا متخبطاً فى ظلمات جهله وجهالته ، فأرسل له الرسل والأنبياء يبشرونه وينذرونه ، ويحملون له العلم والهداية لينتشلوه من الجهل والضلال ، فكان الرسل يتبادلون العلم الذى علمهم الله إياه كما تحكى قصة موسى مع الخضر ، كما كانوا يعلمون باقى البشر الذين يرسلهم الله لهدايتهم إلى ما فيه خيرهم وصلاتهم .

وكان بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم استجابة لدعوة انبيائه ، ليعلم الناس ويطهرهم ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "رنا وأبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم" (البقرة : ١٢٩) ، قال أبو جعفر الطبرى : "هذه دعوة إبراهيم واسماعيل لتبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، عن خالد بن معدان الكلاعى أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله اخبرنا عن نفسك قال نعم أنا

(١) عن أبى هريرة (سنده) : "حدثنى أبو بكر بن شيبه حدثنا عبد الله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت

عن أبى هريرة .

- تفسير الطبرى : ج ١٥ ، ص ١٨٠ .

دعوة أبى ابراهيم ويشرى عيسى صلى الله عليه وسلم (١) .

واستجاب الله لما طلب أنبياءه ، وأرسل فى الناس كافة رسولاً يعلمهم ويزكيهم ، كما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون" (البقرة : ١٥١) عن الربيع قال : يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم يتلو عليكم آيات القرآن ويزكيكم ويظهركم من دنس الذنوب ويعلمكم الكتاب وهو الفرقان يعنى أنه يعلمكم أحكامه ، ويعنى بالحكمة السنن والفقه فى الدين ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فانه يعنى ويعلمكم من أخبار الأنبياء وقصص الأمم الخالية والخبر عما هو حادث وكائن من الأمور التى لم تكن العرب تعلمها فعلموها من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

أعطى الله بنى آدم القدوة الصالحة فى حرص رسله على طلب العلم ، وفى قيامهم بتعليم أهلهم من بنى آدم ، فكان لازماً على كل إنسان أن يسعى لطلب العلم دون أن يشغله عن ذلك شاغل وألا يكثر بالصعوبات التى قد تعوق ذلك بل يصر على اجتيازها .

كما كان واجباً على كل إنسان أن يتأسى بالرسول فى قيامهم بتعليم بنى آدم مما تعلموه عن الله سبحانه وتعالى فيحرص على نشر العلم الذى تعلمه وتعليم غيره من البشر عملاً بما جاء فى قوله تعالى : "ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون" (آل عمران : ٧٩) قال أبو جعفر : "اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقراه عامة أهل الحجاز وبعض البصريين بما كنتم تعلمون بفتح التاء وتخفيف اللام يعنى بعلمكم الكتاب ودراستكم إياه ، بينما قرأ ذلك قراء الكوفيين بضم

(١) عن خالد بن معدان الكلاعى (سنده) : "حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن ثور بن يزيد عن

خالد بن معدان الكلاعى" .

- تفسير الطهرى : ج ١ ، ص ٤٣٦ .

(٢) عن الربيع (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع" .

- تفسير الطهرى : ج ٢ ، ص ٢٣ .

التاء من تُعلمون وتشديد اللام بمعنى بتعليمكم الناس الكتاب ودراستكم إياه ، واعتلوا لاختيارهم ذلك بأن من وصفهم بالتعليم فقد وصفهم بالعلم ، إذ لا يعلمون إلا بعد علمهم بما يعلمون ، فلا موصوف بأنه يعلم إلا وهو موصوف بأنه عالم ، فأولى القرائتين بالصواب أبلغهما فى مدح القوم وذلك وصفهم بأنهم كانوا يعلمون الناس الكتاب. (١)

إن وصف الإنسان بأنه معلم أشمل وأفضل من وصفه بأنه عالم ، فالعالم قد يحصر علمه فى نفسه بينما المعلم يفيض من علمه على المتعلمين ويعلمهم ما كان يتعلمه ويدرسه .

لقد تبين مما سبق أن مصدر العلم إلهى ، فالله سبحانه هو العليم الخبير ، وعلمه الواسع أحاط بكل مخلوقات الدنيا فى السماء والأرض ، وبكل ماشمله عالما الغيب والشهادة ، وهو يعلم ما يسره الإنسان وما يجهر به ، ويعلم عن بنى آدم ما ينفعهم وما يضرهم ، فيرشدهم إلى ما فيه خيرهم ، ويحذرهم مما فيه ضلالهم .

ولما كان الله هو العليم الواسع العلم ، فقد امتن على عباده بقدر من علمه الواسع ، سمح لهم به مع بداية الخليقة ، ونذ علم آدم عليه السلام أسماء كل شىء من ذريته ومن سائر المخلوقات ، ومنذ علم رسله أنبياءه ما شاء لهم من العلم .

فقد علم الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم مع بداية الدعوة إلى الإسلام ، فكان أول ماتعلمه وهو النبى الأُمى أن فتح الله بصيرته ، فعلمه القراءة بمعناها الواسع الذى لا يقتصر على قراءة الكلمة المكتوبة ، وإنما ينسحب على المنظور والمسموع والمحسوس أيضاً ، علمه القرآن والحكمة والفقہ فى الدين ، كما علمه خبر الأولين وقصص الأنبياء السابقين .

(١) تفسير الطبرى : ج٣ ، ص٢٣٤ .

وتذكر آيات القرآن الكريم إن الله تعالى قدر العلم لعيسى عليه السلام ، وأخبر به أمه مريم قبل ولادته ، وعلم الله نبيه موسى التوراة والتفريق بين الحق والباطل ، وأتى إبراهيم العلم منذ الصغر .

وعلم الله انبياءه سليمان وداود أحكامه ، وكيفية الفصل بين المتنازعين ، كما علم يوسف تعبیر الرؤيا ووهبه من العقل والعلم قبل النبوة ، كما أتى الله تعالى داود زبوراً ولوطاً علماً وحكمة، ووهب لنوح ماشاء من العلم .

وعلم الله آل أنبيائه وأقوامهم ، فكان يرسل جبريل عليه السلام فى هيئة آدمية لتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم ، وجاء فى آيات القرآن الكريم خبر تعليم الله لآل إبراهيم وطالوت وغيرهم من الأنبياء .

ومن بنى آدم من علمهم الله ويعلمهم بطريق الفيض والإلهام ، فمنهم من يؤته فهماً فى القرآن ، وكما أتى لقمان الحكمة والفقه ولم يكن نبياً ، وكما أوحى إلى أم موسى بإلهام وليس بوحي نبوة ، فالله يؤتى الحكمة من يشاء من عباده ، والحكمة كما سبق فى التفسير بالمأثور للآيات القرآنية هى الإصابة فى القول والفعل ، والإصابة فى الأمور إنما تكون عن علم ومعرفة بها.

أما الذين لم يؤتهم الله العلم مباشرة عنه أو عن رسله ، ولاتلقوه عن طريق الفيض والالهام، فقد أودع الله لهم القدر الذى شاء لهم فى مصادره ، ودعاهم إلى بلوغ تلك المصادر، والاهتداء إلى ذلك القدر من العلم ، مزوداً إياهم بالوسائل التى تعينهم على ذلك ، من عقل وحواس لكل منها دوره ووظائفه .

وكما آمن الإسلام بدور العقل والحواس لدى الانسان فى بلوغ الإيمان بالله ، فقد دعاه إلى الالتفات بهم إلى الكون للدراسة والاستيعاب ؛ تحقيقاً للنفع والفائدة العامة ، ودونما الانخراط والذوبان فيه لأن الطبيعة متغيرة ، وحق عليه أن يبحث عن الحقيقة الثابتة .

٣ - بنو آدم وطلب العلم : -

أصبح مفروضاً على الإنسان بحكم طبيعته التي فطره الله عليها أن يكون مندفعاً إلى البحث عن كل غامض مستور في الكون المحيط به ، وفي حدود ماتسمح به إمكاناته التي أنعم الله بها عليه ، فلا يقف من المجهول مكتوف الأيدي ، ولا يقنع من الحياة بمظاهر أشكالها وألوانها، وإنما يتناولها بالفكر وإعمال البصر والبصيرة ، ويعللها على قدر ماتسمح به قدراته، حتى يكون هذا من أهم الدوافع إلى كشف المجاهيل ، ومن أهم الموجهات إلى البحث عن الحقيقة والإيمان بالله.

وقد أعطى الله بنى آدم القدوة الصالحة فى حرص رسله على طلب العلم ، وفى قيامهم بتعليم أهلهم ، فكان لازماً على كل إنسان أن يسعى لطلب العلم وقد حثه الإسلام على ذلك ، وفتح أمام الفكر الانسانى أبواب المعرفة، ودعاه إلى التعامل مع الواقع وعدم الانغلاق دونه، واعطاه الموجهات التى تضمن له حسن وسلامة هذا التعامل .

فحق المسلم أن يبحث عن الحقيقة دونما الانقياد للظنون على غير علم ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً" (النجم : ٢٨) عن مجاهد : قال "ومالهم به من علم" يقول تعالى ومالهم من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى من حقيقة علم ، "إن يتبعون إلا الظن" يعنى أنهم يقولون ذلك ظناً بغير علم ، وإن الظن لا ينفع من الحق شيئاً فيقوم مقامه" (١) ويدل ذلك على سوء الاعتماد على الظن كوسيلة للعلم .

ويوضح التفسير بالمأثور للقرآن الكريم مايوجه من النقد الصارم ، للفكر الذى يسوغ لنفسه المناقشة فيما لاعلم له به ، دون أن يتحرى أولاً جمع معطيات موضوع المناقشة ، ففى قوله تعالى: "هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون" (آل عمران : ٦٦) عن قتادة : "يقول هاأنتم يا أهل الكتاب حاججتم فيما شهدتم ورأيتم

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن ابي نجيح عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : ٢٧٠ ، ص ٣٧ .

وعاينتم ، فلم تحاجون فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعاینوا ، والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشاهدوه ولم تروه ولم تأتكم به رسله ، من أمر إبراهيم وغيره من الأمور التي تجادلون فيها بغير علم ، لأنه لا يغيب عنه شيء في السموات والأرض (١) .

فالأيتان وتفسيرهما بالمأثور يوضحان للفكر الإنسان ماهية مصادر العلم ويزودانه لاكتسابه بأحسن التوجهات المنهجية: فلا اعتماد على مجرد الظن، ولا مناقشة لموضوع دون تحرى جميع معطياته.

وللإنسان وهو في سبيله للبحث عن الحقيقة ، أو لجمع المعطيات العلمية لموضوع ما ، له أن يرجع إلى ما تركه السابقون ، ويستفيد من خبراتهم ومعارفهم السابقة، وفي التفسير المأثور لقوله تعالى : "فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون" (النحل : ٤٣) عن مجاهد قال : فاستلوا أهل الكتاب، وقال الطبري : "وهم الذين قرؤا الكتب من قبلهم التوراة والانجيل" (٢) وذلك لأن العلم تراكمي ، فإنه يحق لطالب العلم أيضاً أن يستفيد من الخبرات التي تتراكم لدى الآخرين من معاصريه والمعارف التي سبق لهم اكتسابها ، وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً في ذلك باستفادته من مشاورة أصحابه في أمور الدنيا عامة وفي أمور الحرب بخاصة ، وفي التفسير بالمأثور لقوله تعالى "وشاورهم في الأمر" (آل عمران : ١٥٩) عن الحسن البصري قال : "ماشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم" ، وعن الضحاك بن مزاحم قال : - "ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل" ، فهذان القولان في التفسير بالمأثور للأية يوضحان أهمية المشورة وضرورتها لبلوغ الصواب ومعرفة الحقيقة بالاستفادة من علم وخبره الآخرين .

وكان من الأقوال المأثورة في تفسير الآية ما توجه إلى أثر المشورة على المستشارين أنفسهم، عن قتادة : "أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه وهو يأتيه وحى السماء

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبري : ج ٣ ، ص ٢١٧ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد .

- تفسير الطبري : ج ١٤ ، ص ٧٥ .

لأنه أطيب لأنفس القوم وأن القوم إذا شاور بعضهم بعضاً وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده" (١) .

وكان من التفسير بالمأثور لقوله تعالى "وشاورهم فى الأمر" (آل عمران : ١٥٩) ما رأى أن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه ليتبعه المؤمنون من بعده ويستنوا بسنته ويحتذوا المثل الذى رآه يفعل فى حياته مع المنزلة التى هو بها من الله ، فقد كان الله يعرفه بوجيه والهامة إياه صواب الأمور، أما أمته فإنهم إذا تشاوروا على تأخٍ للحق وإرادة للصواب فالله مسدهم ، عن سفيان بن عيينه فى تفسير الآية قال : هى للمؤمنين أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه أثر" (٢) ، ويوضح هذا أن للكتب والمراجع التى حوت المأثور أهميتها كمصادر للعلم ومثلها للدراسات والبحوث المعاصرة ، مما يوجب على طالب العلم الرجوع إليها .

ولإنسان بعد استيعاب ماسبق إثباته من الحقائق العلمية ، أن يتناولها بالتطوير والإضافة متخذاً التجربة طريقاً لإثبات الحقائق العلمية المستحدثة، ولقد كان فى القصص القرآنى من الموجهات الإسلامية نحو اتخاذ التجربة طريقاً لإثبات الحقائق ما يتضح فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون" (البقرة : ٧٣) ، عن أبى العالية قال : "أمرهم موسى ان يأخذوا عظماً منها فيضربوا به القليل ففعلوا، فرجع إليه

(١) عن الحسن البصرى (سنده) "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن إياس بن دغفل عن الحسن البصرى".

- عن الضحاك بن مزاحم (سنده) : "حدثنا وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم".

- عن قتاده (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة".

- تفسير الطبرى : ج٤ ، ص ١٠٠ .

(٢) عن سفيان بن عيينه (سنده) : "حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال قال سفيان".

- تفسير الطبرى : ج٤ ، ص ١٠١ .

روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتاً كما كان" وقال أبو جعفر الطبرى : "أمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بنى اسرائيل بعد مماته فى الدنيا واخبرهم أنه كذلك يحيى الموتى بعد مماتهم ويبعثهم بعد البعث" (١) .

ومن ذلك أيضاً ماورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير" (البقرة : ٢٥٩) ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنه بيت المقدس أتى عليه عزيز بعدما خربه بختنصر البابلى ، وذكر لنا أنه مات ضحى ، ثم بعث قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوماً ، ثم التفت فرأى بقيه من الشمس فقال أو بعض يوم ، فقال بل لبثت مائة عام" وقال قتاده بنفس الاسناد : "وذكر لنا أنه أول ماخلق الله منه رأساً ثم ركبت فيه عيناه ثم قيل له انظر فجعلت عظامه تواصل بعضها إلى بعض، ويعين نبي الله عليه السلام كان ذلك فقال أعلم أن الله على كل شىء قدير. (٢)

كذلك ضرب الله مثلاً لنبيه إبراهيم عليه السلام ، إذ طلب من الله أن يريه كيفية إحياء الموتى، قال تعالى : "وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً وأعلم أن الله عزيز حكيم" (البقرة : ٢٦٠) ، وردت فى التفسير بالمأثور لهذه الآية أقوال

(١) عن أبى العالیه (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالیه" .

- تفسير الطبرى : ج١ ، ص٢٨٦ .

(٢) عن قتاده (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج٣ ، ص١٩ : ٣٢ .

عديده توضح معناها وتذكر أسباب سؤال إبراهيم عليه السلام وهي أنه أحب أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة . ويقول ابن كثير في تفسيره : "أن المسأله من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك ، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان ، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيد الاستدلال" (١) .

وتوضح هذه القصص الموجهات الإسلامية نحو اتخاذ التجربة طريقاً لإثبات الحقائق ، فقد كان في المشاهدة العينية لواقعة إحياء الموتى طريقاً لإثبات حقيقة البعث "وكذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون" (البقرة ٧٣) ، إلى جانب ما فيها من عظات وعبر تؤكد قدرة الله تعالى على ذلك .

ويتضح مما سبق أن للعلم مصدراً بشرياً يطلبه بنو آدم مما تراكم لدى السابقين والمعاصرين من خبرات ومعارف ، إلى جانب ما يصلون إليه بتفكيرهم وخبراتهم وتجاربهم ، واستخدامهم ما منحهم الله من أدوات تعينهم على اكتساب هذا العلم ، من مصادره الحقيقية ودونما الاعتماد على مجرد الظن أو التخمين .

ثالثاً : أدوات الإنسان للوصول إلى العلم في التفسير بالمأثور للقوان الكريم : -

من نعم الله على بنى آدم أن خلقهم الله مزودين بما يعينهم على اكتساب العلم ، فالإنسان يولد جاهلاً لا يعلم شيئاً ، وهذه الحقيقة يؤكدتها التفسير بالمأثور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى : "ومنكم من يرد إلى أرذل العمل" (النحل : ٧٠) قال :- "يقول تعالى إنما نرده إلى أرذل العمل ليعود جاهلاً كما كان في حال طفولته" (٢) ومتى بدأ الطفل يعي بدأت لديه القدرة

(١) تفسير ابن كثير : ج١ ، ص ٣١٥ .

(٢) عن علي بن أبي طالب (سنده) : "حدثني محمد بن اسماعيل الغزاري ثنا محمد بن سوار ثنا أسد بن حمران عن سعد

بن طريف عن الأصمغ بن نباته عن علي بن أبي طالب" .

- تفسير الطبري : ج١٤ ، ص ٩٤ .

على استخدام ما منحه الله من أدوات لاكتساب العلم شيئاً فشيئاً ، قال تعالى : "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" (النحل : ٧٨) ، يقول الطبرى فى تفسير الآية الكريمة : والله أعلمكم مالم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً ولاتعقلون ، فرزقكم عقولاً تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشر ، وبصركم مالم تكونوا تبصرون ، وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الأصوات فيفقه بعضكم عن بعض ماتتجاوزون به بينكم ، والأبصار التى تبصرون بها وتميزون بها بعضاً عن بعض" (١) .

وماسبق توضيحه من أن القلب ذكر فى بعض الآيات وقصد به العقل يظهر فى هذه الآية، ففى تفسير قوله "والأفئدة" يقول الطبرى : "والقلوب التى تعرفون بها الأشياء ، فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها" (٢) . وهذه الوظائف التى ذكرها توضح أن المقصود بالفؤاد فى هذا الموضع من آيات القرآن الكريم هو العقل .

أما الأدوات التى أنعم الله بها على الإنسان لتعيينه على اكتساب العلم ، فيمكن تناولها من خلال التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم فيما يلى :

أولاً : العقل :

العقل هو الأداة الأساسية التى وهبها الله للإنسان لاكتساب العلم ، لذلك كان الفهم وإدراك الحقائق والوصول إلى العلم فى الإسلام تعقلاً ، وكان العالمون هم الذين يعقلون ، وفى تفسير قوله تعالى : "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" (المنكيات : ٤٣) . قال أبو جعفر الطبرى : "وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التى نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلاً إلا العالمون بالله وآياته" (٣) .

(١) تفسير الطبرى : ج ١٤ ، ص ١٠٢ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) تفسير الطبرى : ج ٢٠ ، ص ٩٨ .

وقال ابن كثير فى تفسير هذه الآية : "ما يعقلها أى ما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون فى العلم المتضلعون فيه" (١) ، وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : "عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل" (٢) ، فعقلت هنا بمعنى علمت .

ومما يؤكد أن الذين يعقلون هم العلماء ماجاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون" (البقرة : ٧٥) عن مجاهد قال الذين يحرفونه والذين يكتمونهم هم العلماء منهم (٣) ، ويتضح ذلك أيضاً فى تفسير قوله تعالى : "كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون" (البقرة : ٢٤٢) فقد قال أبو جعفر الطبرى : "يقول تعالى ذكره كما بينت لكم وعرفتكم أحكامى والحق والواجب لبعضكم على بعض فى هذه الآيات وذلك لتعقلوا أيها المؤمنون حدودى فتنهموا اللازم لكم من فرائضى وتعرفوا بذلك ما فيه صلاح دينكم ودنياكم" (٤) ، والمتأمل للأفعال التى ذكرها أبو جعفر فى تفسيره للآية : لتعقلوا فتنهموا وتعرفوا يلاحظ تعاقب التعقل فالفهم فالمعرفة . وكلها وظائف العقل مما يوضح ماله من دور رئيسى فى اكتساب العلم .

والتعقل يكون قراءة ودراسة ففهم وعلم ، ففى تفسير قوله تعالى : "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" (البقرة : ٤٤) قال أبو جعفر الطبرى : يعنى بقوله تتلون تدرسون وتقرأون" (٥) . والتعقل هو التعلم والفهم وذلك كما ورد فى التفسير بالمأثور

(١) تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص٤١٤ .

(٢) عن عمرو بن العاصى (سنده) : "حدثنا اسحق بن عيسى حدثنى ابن لهيعة عن أبى قبيل عن عمرو بن العاصى .

- نفس المرجع .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : ج١ ، ص٢٩١ .

(٤) تفسير الطبرى : ج٢ ، ص٣٦٥ .

(٥) تفسير الطبرى : ج١ ، ص٢٠٤ .

لقوله تعالى : "قلنا اضربوه ببعضها وكذلك يحيى الله الموتى ويريكهم آياته لعلكم تعقلون" (البقرة : ٧٣) يقول أبو جعفر : يعنى ذلك مخاطبة من الله عباده المؤمنين واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث وأمر لهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بنى اسرائيل بعد مماته فى الدنيا ويريكهم الله أعلامه وحججه الدالة على نبوة محمد ليعلموا ويفهموا أنه محق صادق (١) فى تفسير أبى جعفر لقوله لعلكم تعقلون قال لتعلموا وتفهموا .

ولقد ذكر فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم أن العقل هو الحكم وهو الفهم بكتاب الله وذلك كما جاء فى تفسير قوله تعالى "أولئك الذين أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة" (الأنعام : ٨٩) قال أبو جعفر الطبرى : "يعنى تعالى ذكره بقوله أولئك هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله هم الذين أتيناهم الكتاب يعنى بذلك صحف ابراهيم وموسى وزبور داود وانجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين والحكم يعنى الفهم بالكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام ، عن مجاهد قال الحكم هو اللب" ، وفى تعريف أبى جعفر للّب قال : "وعنى مجاهد أن اللب هو العقل فكأنه أراد أن الله أتاهم العقل بالكتاب وهو بمعنى من أنه الفهم به" (٢) .

ويتضح مما سبق أن العقل فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم هو الأداة الأساسية لاكتساب العلم ، وهناك أدوات وهبها الله للإنسان لتعين العقل على الفهم والتعقل وهذه الأدوات هى الرؤية والسمع وهى لاتعد أدوات أساسية بالقياس بالعقل الذى لو انعدم وجوده لما كان لهاتين الأداةين جدوى .

(١) تفسير الطبرى : ج ١ ، ص ٢٨٦ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا اهان قال ثنا مالك بن شداد عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : ج ٧ ، ص ١٧٤ .

ثانياً : السمع :

السمع من الأدوات التي وهبها الله للإنسان لتعينه على تعقل الأمور والعلم بها ، وفي التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون" (البقرة : ٧٥) عن محمد بن اسحق قال عن بعض أهل العلم أنهم قالوا ياموسى قد حيل بيننا وبين رؤية الله عز وجل فأسمعنا كلامه حين يكلمك ، فطلب ذلك موسى إلى ربه ، قال نعم فمرهم فيطهروا وليطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتى الطور فلما غشيبهم الغمام أمرهم موسى عليه السلام فوقعوا سجوداً وكلمه ربه فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا ماسمعوا ثم انصرف بهم إلى بنى اسرائيل فلما جاؤهم حرف فريق ما أمرهم به" (١) ويقول الطبرى : "إن الله تعالى عنى بذلك من سمع كلامه من بنى اسرائيل ثم حرف ذلك ويدل من بعد سماعه وعلمه به وفهمه إياه (٢) ، ويتفق هذا مع ما جاء فى تفسير قوله تعالى : "والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها أن فى ذلك لآية لقوم يسمعون" (النحل : ٦٥) قال أبو جعفر : "يقول تعالى ذكره إن فى احيائنا الأرض بعد موتها وما أنزلنا من السماء من ماء لدليلاً واضحاً وحجج قاطعة عذر من فكر فيه لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه ويطيعون الله بما دلهم عليه" (٣) .

ففى الآية الأولى أن قوم موسى قد حرفوا كلام الله من بعد علمهم به فهم قد سمعوه وعقلوه ، فالتعقل هو العلم الذى اعتمد على السمع ، وفى الآية الثانية يدعو الله المؤمنين الى سماع دليله وحجته ليتأملوا ويتدبروا فيفهموا ويعقلوا ، وهو كما جاء فى تفسير ابن كثير لقوله تعالى : "يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له..." (الحج : ٧٣) قال ابن كثير : "أى انصتوا وتفهموا" (٤) .

(١) عن محمد بن اسحق (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق .

- تفسير الطبرى : ج ١ ، ص ٢٩١ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) تفسير الطبرى : ج ١٤ ، ص ٨٨ .

(٤) تفسير ابن كثير : ج ٣ ، ص ٢٣٥ .

والسمع قد يصل بالإنسان إلى الإيمان، والإيمان لا يكون إلا بالفهم والتعقل التام ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: "وإنا لما سمعنا الهدى أمنا به" (الجن : ١٣) قال أبو جعفر الطبري: "وإنا لما سمعنا القرآن الذي يهدى إلى الطريق المستقيم صدقنا به وأقررنا أنه الحق من عند الله" (١)، لذلك كان المشركون حريصين على النهي عن سماع القرآن خوفاً من أن يفهمه السامع فيعقله ويؤمن به، وهذا ماورد في التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" (فصلت : ٢٦) عن معمر قال: قالوا تحدثوا وصيحوا كيما لا تسمعوه، لعلكم بفعلكم هذا تصدون من أراد استماعه فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه لم يفهمه ولم يتبعه" (٢) .

فالسمع من أدوات الانسان التي تعينه على الوصول إلى العلم وعلى التعلم ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمعون وتُسمع منكم ، وتُسمع ممن سمع منكم" فالمراد أن الصحابة يسمعون ويتعلمون من إمامهم معلم الخير صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم يسمعون منهم ماتعلموا ثم يسمع منهم تلاميذهم العلماء الأئمة ، وهكذا أداء للأمانة وإبلاغاً للرسالة. (٣)

ثالثاً : الرؤية :

قال أبو جعفر في تفسير قوله تعالى : "ويريكم آياته لعلكم تعقلون" (البقرة : ٧٣) ، "إذ لما أراد تعليمهم وإفهامهم أراهم آياته حتى يعقلوها ويفهموا فيؤمنوا. (٤) فالرؤية أداة يتوسل

(١) تفسير الطبري : ج٢٩ ، ص ٧١ .

(٢) عن معمر (سنده) : حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر .

- تفسير الطبري : ج٢٤ ، ص ٧٢ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس" .

- الإمام أحمد ابن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج٤ ، رقم ٢٩٤٧ ، ص ٣٤٠ .

(٤) تفسير الطبري : ج١ ، ص ٢٨٦ .

بها الإنسان للتعلم ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا" (البقرة : ١٢٨) ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال أى رب فأرنا مناسكنا أبرزها لنا علمناها ، فبعث الله جبريل فحج به" (١) .

وتتضح أهمية الرؤية فى اكتساب العلم فيما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة" (البقرة : ٣١) عن الحسن وقتاده قالوا علمه اسم كل شىء هذه الخيل وهذه البغال وما أشبه ذلك وجعل يسمى كل شىء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة" (٢) ، ولقد بلغ من أهمية الرؤية كوسيلة للعلم وعرضت عليه أى رآها بعينه كى يعلمها ويعرفها ، كما قال أبو جعفر : "أن العرب تضع العلم مكان الرؤية والرؤية مكان العلم ، وقال بعضهم أن دليل ذلك أيتان : الأولى هى قوله : "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل" فقالوا أن معنى ألم تر ألم تعلم ، والثانية فى قوله : "وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسل ممن ينقلب على عقبيه : (البقرة : ١٤٣) فزعموا أن معنى إلا لنعلم إلا لنرى" ولكن أبا جعفر الطبرى : لم يقبل من هذين القولين سوى أحدهما فقد قبل أن تكون الرؤية خيراً عن العلم كما فى الآية الأولى لأنه يستحيل أن يرى المرء شيئاً إلا علمه ، أما القول بأن العلم خبر عن الرؤيا فلم يقبله لان المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولن يراها ، وأكد أبو جعفر على ذلك بتفسير الآية الثانية فقال أن قوله تعالى : "إلا لنعلم من يتبع الرسول" ليست بمعنى إلا لنرى لأن الله جل ثناؤه هو العالم

(١) عن على بن أبى طالب (سنده) : "حدثنا الحسن بن يحيى قال اخبرنا عبد الرازق قال اخبرنا ابن جريج قال قال المسيب

قال على بن أبى طالب .

- تفسير الطبرى : ج ١ ، ص ٤٣٤ .

(٢) عن الحسن وقتاده (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن

وقتاده" .

- تفسير الطبرى : ج ١ ، ص ١٧٢ .

بالأشياء كلها قبل كونها وقوله إلا لنعلم معناه إلا ليعلم رسولى وحزبى وأوليائى من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبه. (١)

فالرؤية وسيلة للتعقل والاعتبار، والمؤمن يرى بنور الله وفى سورة الحجر بعد أن ذكر الله
تعالى خبر إهلاكه قوم لوط وتعذيبهم قال تعالى: "إن فى ذلك لآيات للمتوسمين" (الحجر : ٧٥) ،
وفى التفسير بالمأثور للآية عن ابن عباس للمتوسمين قال للناظرين وعن الضحاك مثله، وعن قتادة
للمتوسمين قال للمعتبرين، وعن مجاهد للمتوسمين قال المتفرسين، وعن أبى سعيد قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ "إن فى ذلك لآيات
للمتوسمين" (٢).

والرؤية لا تقتصر على البصر بل قد تكون الرؤية بالقلب وسيلة للوصول إلى العلم ، وذلك كما
جاء فى تفسير قوله تعالى : " ألم تر إلى الملائكة من بنى اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم
ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله" (البقرة : ٢٤٦) قال أبو جعفر الطبرى : "يعنى تعالى ذكره ألم
تر يا محمد بقلبك فتعلم بخبرى إياك عن وجوه بنى اسرائيل من بعد ما قبض موسى ... الخ. (٣)،
وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ما كذب الفؤاد ما رأى" (النجم : ١١) عن ابن عباس قال : رأى
محمد ربه عز وجل بقلبه مرتين" (٤) . وربما تكون الرؤية بالقلب فيضاً من الإلهام اختص الله به

(١) تفسير الطبرى : ج ٢ ، ص ٩ . .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس" .

عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

عن مجاهد (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد" .

عن أبى سعيد (سنده) : "حدثنى محمد بن عمارة قال ثنى حسن بن مالك قال محمد بن كثير عن عمرو بن قيس .

عن عطية عن أبى سعيد" .

- تفسير الطبرى : ج ١٤ ، ص ٣٢ .

(٣) تفسير الطبرى : ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

(٤) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن زيادة بن الحصين عن أبى العالبيه عن ابن عباس" .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج ٣ ، رقم ١٩٥٦ ، ص ٢٩٤ .

أنبياء وعباده الصالحين ، لذلك كانت الآيات التي حملت هذا المعنى مقصورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .وقال أبو جعفر الطبرى : فى تفسير قوله "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب" (آل عمران : ٢٣) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله جل ثناؤه ألم تر ، فقال قوم معناه ألم تخبر ، وقال آخرون معناه ألم تعلم والصواب من القول فى ذلك ألم تر بقلبك يا محمد علماً إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب وذلك أن الخبر والعلم لايجليان رؤية ولكنه رؤية القلب بالعلم^(١) فالرؤية من الأدوات الهامة التى تعين على التعقل والوصول إلى العلم ولو لم تكن إبصاراً بالعين .

ولقد ذكرت هذه الأدوات : العقل - السمع - الرؤية ، التى تعين الإنسان على الوصول إلى العلم مجتمعه فى آية قرآنية واحدة حيث ذكر فيها القلب وقصد به العقل - كما سبق توضيح ذلك-^(*) كما ذكر فيها السمع والبصر كلاهما وذلك فى قوله تعالى : "أفلم يسيرا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور" (الحج : ٤٦) ويقول أبو جعفر الطبرى فى تفسيرها : أفلم يسير هؤلاء المكذبون بأيات الله فى البلاد فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذبي رسل الله فيتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبيرهم أمرها سنة الله فيمن كفر وعبد غيره..^(٢)

وافتراد هذه الوسائل المعينة للعقل من سمع وبصر يعوقه عن الفهم والإدراك والعلم وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "صم بكم عمى فهم لا يعقلون" (البقره : ١٧١) عن ابن عباس "صم بكم" يقول لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه فلا يعقلونه"^(٣) ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون" (الأنفال : ٢١ ، ٢٢) قال أبو جعفر الطبرى : "ولا تكونوا أيها المؤمنون كالمشركين الذين إذا

(١) تفسير الطبرى : ح٥ ، ص٧٤ .

(*) انظر الفصل السابق : ص ١١٢ .

(٢) تفسير الطبرى : ح٧ ، ص١٣٩ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس"

- تفسير الطبرى : ح٢ ، ص٤٩ .

سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا قد سمعنا بأذاننا وهم لا يعتبرون به لإعراضهم عن أن يتدبروه ويتفهموه بعقولهم فجعلهم الله بمنزلة من لم يسمعها ، إن شر مادب على الأرض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لثلا يستمعوه فيعتبروا به ، عن عكرمة وكانوا يقولون إنا صم بكم عما يدعو إليه محمد ، ولا نسمعه منه ولا نجيبه بتصديق فقتلوا جميعاً بأحد وكانوا أصحاب اللواء" (١) .
لذلك حذر الله المنافقين في قوله تعالى : "ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير" (البقرة : ٢٠) عن ابن عباس ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم لما تركوا من الحق بعد معرفته" (٢) ، وذلك لأنهم توصلوا إلى معرفة الحق بسمعهم وأبصارهم ، ورغم ذلك أنكروا هذا الحق ، فتوعدهم الله بحرمانهم من أدوات المعرفة هذه .

لقد وهب الله الإنسان قدراً من علمه الواسع ، فكان هذا العلم نعمة عظمى كرم الله بها هذا المخلوق ، وفضله بها على غيره من المخلوقات، ومن خلال التفسير بالمأثور للقرآن الكريم تبينت المنزلة العظيمة التي نالها العلماء في الإسلام ، والدرجات العالية التي رفعوا إليها ، حتى صاروا في مصاف الملائكة والرسل ، كما ذكرهم الله كثيراً في كتابه القرآن الكريم بعدة مسميات ونعوت فهم العلماء العالمون ، أولو العلم، والذين أتوا العلم ، وهم الراسخون فيه ، والعالم هو السيد .
كما اتضحت طبيعة هذا العلم ، الذي دعا الاسلام إليه وحث على طلبه ، حتى صار العلم واجباً على كل إنسان ، كما صار حقاً له ، فكان العلم شاملاً للعلوم الدينية المتعلقة بمصدرى الدين:

(١) عن عكرمة (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج عن عكرمة" .

- تفسير الطبري : ج ٩ ، ص ١٤٠ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس .

- تفسير الطبري : ج ١ ، ص ١٢٤ .

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ومنها علم التفسير والقراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، والحديث والفقه والعبادات والشرائع والأحكام وغيرها .

كما شمل العلم أيضاً علوماً تتعلق بالجانب الدنيوي وتستقيم بها حياة الإنسان في هذا الكون ، فهي تعينه على التقدم في الحياة ، والسير في ركب الحضارة ؛ لتعمير هذه الأرض تنفيذاً لأمر الله بذلك .

واتضح من خلال التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم ، أن الله سبحانه وتعالى فتح أمام الإنسان طريق هذه العلوم ، بل وعلمه أوليات كثير منها ؛ ليحرضه على الانطلاق في البحث عن الحقائق العلمية ، ووضع الأسس الثابتة لهذه العلوم .

ومن هذه العلوم التي علم الله الإنسان أولياتها من خلال آيات القرآن الكريم ما يتعلق بطرق كسب الرزق كتربية الحيوان والانتفاع به وتدريبه على الصيد بأنواعه وكالصناعة ، ومنها ما يتعلق بالحساب وتدوينه وبالفلك ، وما يتعلق بالحياة الاجتماعية والانسانية كتنظيم المجتمعات وحقوق الانسان والتربية الشاملة .

والعلم إلهي المصدر ، فالله هو العليم ، وعلمه الواسع أحاط بكل مخلوقات الدنيا في السماء والأرض ، وبكل ما شمله عالم الغيب والشهادة ، كما يعلم الله كل شيء عما يظهره الإنسان وما يخفيه ، ويعلم ما ينفعه وما يضره فيرشده إلى ما فيه خيره ونفعه ، ويحذره مما فيه الضرر، فإن الله يعلم والناس لا يعلمون، "إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً" (طه : ٩٨).

وامتن الله تعالى على عباده بقدر من علمه الواسع ، سمح لهم به مع بدايه الخلقه ، منذ علم آدم عليه السلام أسماء الأشياء كلها ، ومنذ علم رسله وأنبيائه ماشاء لهم من العلم ، كذلك علم الله آل أنبيائه وأقوامهم، ويبين التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم أن هناك من بنى آدم من علمهم الله ويعلمهم بطريق الفيض والإلهام ، فمنهم من يؤته الله فهماً في القرآن ، ومنهم من يؤته

الفقه والحكمة كما أتى لقمان الحكمة والفقه ولم يكن نبياً ، وكما أوحى إلى أم موسى بإلهام وليس بوحي نبوة، فالله يؤتى الحكمة من يشاء من عباده .

أما الذين لم يؤتهم الله العلم مباشرة عنه أو عن رسله ، ولاتلقوه عن طريق الفيض والإلهام ، فقد أودع الله لهم القدر الذى شاء لهم فى مصادره ، ودعاهم إلى بلوغ تلك المصادر ، والاهتداء إلى ذلك القدر من العلم مزوداً إياهم بالأدوات التى تعينهم على ذلك ، من عقل وحواس لكل منها دوره ووظائفه .

وكما آمن الإسلام بدور العقل والحواس لدى الإنسان فى بلوغ الإيمان بالله ، فقد دعاه إلى الالتفات بهم الى الكون للدراسة والاستيعاب تحقيقاً للنفع والفائدة ، ودونما الانخراط والذوبان فيه؛ لأن الطبيعة متغيرة، وحق عليه أن يبحث عن الحقيقة الثابتة .

وأصبح مفروضاً على الإنسان بحكم طبيعته التى فطره الله عليها أن يكون مندفعاً إلى البحث عن كل غامض مستور فى الكون المحيط به وفى حدود ماتسمح به امكانياته التى أنعم الله بها عليه ، فلا يقف من المجهول مكتوف الأيدي ، ولا يقنع من الحياة بمظاهر أشكالها ، وإنما يتناولها بالفكر وإعمال البصر والبصيرة ، ويعللها على قدر ماتسمح به قدراته ، حتى يكون هذا من أهم الدوافع الى كشف المجاهيل ومن أهم الموجهات الى البحث عن الحقيقة والايان بالله .

وقد اعطى الله بنى آدم القدوة الصالحة فى حرص رسله وانبيائه على طلب العلم ، وفى قيامهم بتعليم أهليهم ، فكان لازماً على كل انسان أن يسعى لطلب العلم وقد حثه الإسلام على ذلك، وفتح أمام الفكر الإنسانى أبواب المعرفة ، ودعاه إلى التعامل مع الواقع وعدم الانغلاق دونه، واعطاه الموجهات التى تضمن له حسن وسلامة هذا التعامل .

فقد تبين أن للعلم مصدراً بشرياً يطلبه بنو آدم مما تراكم لدى السابقين والمعاصرين من خبرات ومعارف ، إلى جانب ما يصلون إليه بتفكيرهم وخبراتهم وتجاربهم ، واستخدامهم ما منحهم الله من أدوات تعينهم على اكتساب هذا العلم من مصادره الحقيقية ، ودونما الاعتماد على مجرد الظن والتخمين والتقليد .

وتتمثل الأدوات التى تعين الإنسان على اكتساب العلم فى العقل وهو أداة أساسية لما يقوم به من وظائف عديدة كالتفكر والتأمل والتعقل والفهم والتفقه والعلم .

وهناك أدوات وهبها الله للإنسان لتعين بوظائفها العقل على الفهم والتعقل فالأذن أداة السمع تعين على الفهم وقد تصل بالإنسان الى الايمان ، والرؤية وسيلتها العين المبصرة والقلب المبصر أيضاً ، فالؤمن يرى بعينه وقلبه ويرى أيضاً بنور الله ، وهذه الرؤية وسيلته للتحقق والتعقل والاعتبار والعلم واليقين .

واقتتاد الوسائل المعينة للعقل من سمع وبصر يعوقه عن الفهم والادراك والعلم، لذلك توعد الله الذين توصلوا الى معرفه الحق ثم انكروه أن يحرموا هذه الوسائل التى استعانوا بها فى معرفة الحق بسبب إنكارهم إياه .

ورغم هذا الاتساع فى مجالات العلم فإنه لا يكتفى به ، لأن العلم غذاء للعقل ، والتعليم وسيلة من وسائل التربية فى توجيهها نحو العقل الانسانى توجهاً تنموياً تطويرياً ، ولكن الطبيعة الانسانية ليست عقلاً فقط ، وإنما تتكون الى جانب العقل من الروح والقلب والجسد ، وكل من هذه المكونات فى حاجة الى النمو والاصلاح ، وهذا ماتضطلع بها التربية فى توجيهها الشمولى نحو الطبيعة الانسانية ، ولذا كانت التربية أكثر شمولاً من التعليم من حيث أن موضوعها الإنسان بكل مكونات طبيعته الإنسانية .

وهذا ما حدا بالباحثة الى تخصيص الفصل القادم من الدراسة للبحث عن التربية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم .